الفصل الرابع

المجتمع الاسلامى الاول والتدوين

١- علماء المسلمين وجهود التدوين :-

ان ظهور التاريخ نشأ عن ميول موجودة فى المجتمع الاسلامى منذ منتصف القرن الأول الهجرى وحتى منتصف القرن الثالث أضيف اليها مع تطور الزمن دوافع جديدة نتيجة عدد كبير من المؤثرات ، لعل أهمها : عملية استماع الشهادة من الشهود المباشرين للحدث التاريخى وهى عملية شفهية خالصة كانت تتم بشكل مباشر بين « الشاهد » الذى هو المصدر الأساسى للمعلومات وبين جامع تلك المعلومات من الأفراد ، ومعظم معلومات التاريخ الاسلامى الأولية جاءت عن هذا الطريق الشفوى .

وهناك - أيضا - عملية حفظ المعلومات ، وتتم فى الكثرة الساحقة من الأحوال بالتسجيل والتدوين الكتابى الشخصى ، وكانت تجرى باستمرار منذ عهد الرسالة اذ يدون المستمع ما يهمه من المعلومات ، ومهمة التدوين هى معونة الذاكرة على دقة النقل وصحته .

وأخيرا جاءت عملية نقل المعلومات الى الآخرين ، حيث رغبة العلماء أن لا يعتبروا « المعلومات » جديرة بالثقة ما لم تأت بالنقل المباشر والسماع الشخصى عن أصحابها العارفين بها ، وهذا ماكان يدفع من جديد بالرواية الشفهية الى مستوى الاهتمام الأول ولم يتنبه أحد الى الفصل بين هذه العمليات الثلاث ، كما أن الكثيرين لم يرجعوا الى المادة المدونة نفسها والى الوثائق التاريخية لكشف الحقيقة ، والعلماء الأوائل المؤسسين كانوا جميعهم تقريبا يسجلون معلوماتهم وما يجمعونه من الروايات الأصلية للأحداث من شهودها ، فاذا نقلوا تلك المعلومات الى الدارسين نقلوها دوما بالرواية الشفهية

التى لا تعتمد على الذاكرة ، ولكن على الصحف المحفوظة ، وكان الدارسون بالتالى يدونون ما يسمعون ، ويعودون عند النقل الي رواية المعلومات والأخبار والرواية الشفهية التى سجلوها بأنفسهم لأنفسهم ، وتحمل فى المصادر اسم « الأصول » كالذى ذكروه عن الشعبى حين أملى أمام قتيبة بن مسلم كتابا عن الفتوح دون « مسودات » أو – دون الرجوع الى أوراقه .

وتأسيساً علي ذلك .. فأن الذاكرة لم يكن لها فى حفظ العلم الا أضأل الأثر ، وتلك العملية المنسية المهملة انما تسجل بدء التدوين التاريخى (والعلمى) منذ زمن مبكر فى الاسلام .

وفى أوراق البردى الاسلامية عكف المستشرقون على اثبات وجود الوثائق من العهد الأموى فى ثنايا خلفيات ونصوص الروايات أى المدونات التاريخية الأولى .

كما أثبتت دراسات المستشرقين وجود صحف ونصوص مكتوبة بين أيدى الرواة الأول ، ومنها أقدم كتب السيرة ومؤلفيها ، حيث تضم بين ثناياها كتبا أخرى سبقتها بعد كتب ...

ثم جاءت أخيرا أبحاث فؤاد سزكين فى « تاريخ التراث العربى » فوضعت بداية التدوين التاريخى والعلمى عند العرب .

وان ما يتصل بالتارخ وحده قد يكفى لربط تدوينه الأول فى نصوصه الأولى بعد الرسالة نفسه ، حيث أن بعض الصحابة كانوا يروون رسائل الرسول – صلى الله عليه وسلم – كرواية عمروبن حمزة بن زيد لرسالة النبى – صلى الله عليه وسلم – فى الفرائض والزكاة والديانات ، أو يروون أوامر الخلفاء الى الولاة ، ككتاب عمر بن الخطاب الي أبى موسى الأشعرى حول الصلاة الذى رواه الحارث بن عمرو الهذلى .

بل ان بعض الصحابة يقول فى روايته للأخبار « وجدت فى كتاب أبى فلان » أو

كتاب أبائى » كما كان لدى بعض أحفاد الصحابة نسخ مما ألف أجدادهم أبناء الصحابة عن حياة الرسول – صلى الله عليه وسلم – .

وحين ظهر الاسناد فى الثلث الأخير من القرن الأول الهجرى كان سببه ضرورة « الشهادة » على الرواية نقلا من مصدرها الأول . وهكذا فأن الأسماء الواردة فى الاسناد لدى الطبرى أوالواقدى أو البلاذرى مثلا انما تكشف فى الواقع عن أسماء المدونين الأولين والمدونين التالين لهم . فهى مجموعة من مصادرمدونة تعود بدورها الى مصادر أقدم منها.

وثمة خبر مؤكد فى بعض أخبار التدوين فى العصر الراشد هو تسجيل أنساب العرب ، فقد شكل عمر بن الخطاب لجنة ثلاثية من أبى عدى جبير بن مطعم ، أحد مشاهير علماء النسب ، ومخرمة بن نوفل ، وعقيل بن أبى طالب ، كلفها وضع ثبت بأنساب العرب يقوم على أساسه الديوان ، وهذا أول تدوين تاريخى للأنساب فى العرب وفى الاسلام ، وذلك المثال والأساس الذى دونت على أساسه الأنساب وأخبارها من بعد باعتباره السجل الرسمى المكتوب .

وثمة زاوية أخرى تكشف التدوين المبكر والدائم للأخبار والحديث هى ما تجده فى ثنايا الكتب عن تلك التسجيلات الشخصية التى تحمل اسم « الأصول » أو « الكتب » أو الصحف . قال سعيد بن جبير " ... ربما أتيت ابن عباس فكتبت فى صحيفتى حتى أملاها . وكتبت في نعلى حتى أمالأها وكتبت فى كفى » .

العصـــر الامـــــوى

فاذا دققنا فى أخبار التأليف والكتب فى العصر الأموى وجدنا العديد من الاشارت الى جملة واسعة من المؤلفات المكتوبة منذ مطالع العهد الأموى ، سواء فى النسب أوالأخبار أو غيرها ، يكفى دليلا على التدوين المبكر كما يكفى لابعاد فكرة

العلم الشفهى الخالص عن القرن الاول .

وهناك كتابان يتناولان تاريخ اليمن وحمير أحدهما لعبيد بن شرية الجرهمى(أخبار اليمن وأشعارها) والآخر لوهب بن منبه (كتاب الملوك والتيجان) ، حيث نجد فيهما جهدا تدوينيا لأساطير وقصص .

وتكثر الى هذا أخبار « كتب » النسب ، ونجد من ذلك الكثير الذى يدل على انتشار تسجيلها بين الناس ، فثمة ذكر لكتاب عبدالله بن عمرو اليشكرى (المتوفى حوالى سنة ٦٩٩/٨٠) فى الأنساب ، ومن المرجح أن ابن حجر قد استخدمه ، وقد اشار ابن سعد فى الطبقات أكثر من مرة الى مراجعته كتاب (نسب الأنصار) لفحص المعلومات الخاصة بالأنصار ، وذكر الجاحظ كتابا فى الأنساب كان متداولا فى عهده من وضع مجور بن غيلان الضبى البصرى المتوفى حوالى سنة (٧٠٤/٨٥) .

وأخيرا تجدر الاشارة الى كتب من نوع آخر . فقد نقل أبو الفرج الأصفهانى فى الأغانى مقتبسات هامة عن كتاب حول الشعراء الأمويين للقصاص المحدث أبى عمر ذر بن عبد الله المرهبى الكوفى (المتوفى فى أوائل القرن الثانى الهجرى) وكانت النسخة بخط المؤلف نفسه .

واستخدم ابن اسحاق في رواية بعض الأحداث كغزوة الخندق مثلا كتابا لعدة مؤلفين لا يقل عددهم عن سبعة وصفهم بأنهم « علماؤنا » .

وكانت كتب المغازى منتشرة فى أواسط العصر الأموى بهذا الخصوص ، ويروى البلاذرى أن عبد الملك بن مروان أمر بحرق كتاب فى المغازى وجده بيد بعض أبنائه لأنه يشغله عن القرآن والسنة .

ويصل أحد الباحثين المحدثين الى نتيجة مفادها أن بداية التدوين والكتابة التاريخية انما بدأت أشد بكورا بحوالى القرن علي الأقل مما كان يظن الباحثون وأن

قضية « العلم » العربى الذى ظل محفوظا فى الصدور والذاكرة حتى أواسط القرن الثانى انما هى محض خرافة .

سمات ومميزات التدوين التاريخى فى مراحله الأولى :

١- ان الأبحاث التاريخية (من الكتب والرسائل) التى صدرت فى فترة القرون الثلاثة الأولى كانت تزيد على ٦٠٠ بحث ورسالة ، وحوالى الثلثين منها كتبه أربعة أو خمسة رجال (كالمداثنى ، وأبى مخنف ، وأبى عبيدة ، ابن الكلبى) وهى مادة تاريخية واسعة أقامت هذا العلم علي قاعدة واسعة من المعلومات الأولى .

٢- ولكن هذه المعلومات كانت على مستويات مختلفة من الدقة والصحة والسعة والشمول ، حسب المؤرخين والرواة ، كما أن الكثير منها قد لعبت به الأهواء الاجتماعية والسياسية والمذهبية الدينية والقبلية لما يحمل من وجهات نظر أصحابه ، فهى أيضا على مستويات مختلفة من التأثر بالمواقف السياسية والدينية والقبلية والشعوبية .

٣- ولم تشترك العواصم الاسلامية بعناصرها التى تتكون منها الدولة فى كتابة التاريخ . ومن الملاحظ أن المدينة المنورة ، والبصرة ، والكوفة كانت أماكن تدوين التاريخ ، وتلتها دمشق وكتب شئ من التاريخ فى مصر ، فلما ظهرت بغداد استقطبت الفكر الثقافى كله ، وعملية التدوين التاريخى . وكان من نتيجة ذلك أن ظهرت ميول محلية وقبلية فى التدوين التاريخى ، وتأثرت الكتابات بالرأى العام السائد ، ومؤرخو المدينة كانوا يميلون إلى السيرة وعلم الحديث وأهل مصر الى النسب والأيام ، والشام يسجلون الرأى الأموى ، واليمنيون يهتمون بذكر اليمن . أما البصرة ورواتها الذين تأثروا بمذهب أهل

المدينة فقد تأثروا كذلك بآراء الصنعانيين ومدرسة اليمن الذين عرفوا بروايتهم للأساطير ، والسبب فى ذلك هو العلاقات التجارية بين البصرة واليمن . والذين شاركوا فى هذا النشاط الثقافى كانوا إما من العرب أو من الموالى الفرس فى ايران .

٤- ومن نافلة القول أن كافة الكتابات التاريخية وضعت على أساس اسلامى بحت ، بالتقويم الاسلامى الهجرى ، بمعنى أنها نشأت فى إطار الاسلام نفسه ومن أجله ، وبمنطلق جديد وتقويم جديد . وسواء تعلق الأمر بالاخباريين من العرب أو الموالى فأنهم لم يكونوا عالة على مؤرخى أى أمة فيما يتعلق بتاريخهم الخاص ، أماالموالى الفرس فقد أضافوا الى عملية التدوين تاريخهم الخاص . ولم يكونوا لاهم ولا مثقفوا الشعوب الأخرى ذات الحضارة السابقة كالسريان و الروم ، وراء نشوء هذا العلم . وحين أعطوه ما عندهم دخلوا ضمن اطاره الخاص ومنطلقاته ولم يستطيعوا أن يفرضوا عليه أى اطار كما هو الحال فى الفلسفة مثلا .

٥- ان نشأة علم التاريخ وتطوره لايمكن استيعابه إلا ضمن التطورات والفعاليات الثقافية الأخرى . انه لم ينشأ وحده كالزهرة فى صحراء ولكنه كان زهرة فى ربيع واسع ، علي حد التحليل الرائع لمحمود شاكر الذى يضيف قائلا « أنه في الوقت الذى كانت الثقافة العربية الاسلامية فيه تنمو وتنضج كان التاريخ جزءاً منها وكان ينمو ويشتد عوده بدوره معها ، فهو ابن تلك الحركة الثقافية الواسعة التى امتدت منذ أواسط القرن الأول الهجرى ، فى دمشق وبلغت شبابها فى عهد المأمون فى مطلع القرن الثالث » .

٦- ونتج عن ذلك أنه بدافع من الانبهار بالاسلام لم يهتم المؤرخون بتواريخ الأمم الأخر ى الا متأخرين ، بل انهم أهملوا التاريخ الجاهلى .

ولعل السبب فى ذلك يعود الى عدم توفر المواد الكافية من المعلومات المنقولة ، فضلا عن العصبيات القبلية تمارس دورها في إخفاء كثير من الجوانب ، وان معظم ما كتب عن التاريخ الجاهلى كتبه الباحثون عن النثر الفنى والشعر والأدب ولم يكتبه الباحثون الذين كانوا يهتمون بتاريخ العرب بعد الاسلام لاقبله باعتباره هو المرحلة الحاسمة والمتألقة ، وأما الجاهلية فقد حكم عليها الاسلام بالبوار .

٧- إن عددا كبيرا من الأقلام التى كتبت الأبحاث التاريخية كانت من الموالى ، وهؤلاء وان كانوامسلمين إلا أنهم ليسوا من العرب ، وقلما كانوا يتحمسون التاريخ العربى ، أو يهتمون بتقديمه ، ونتج عن ذلك أنهم غالبا ما كانوا يجمعون في عملية التدوين كافة الأخبار بما فيها من أساطير أو مفاخر دون تفريق . ومن أبرز هؤلاء الموالى : شرحبيل بن سعد ، وابن اسحاق ، وابو معشر السندى ، ثم الواقدى وأبو عبيدة والمدائنى وذلك قبل أن يظهر المؤرخون منهم كابن قتيبة الدينورى والبلاذرى واليعقوبى والطبرى .

٨- الدقة التى اتسمت بها الأخبار التاريخية المتعلقة بالخلفاء الراشدين والواردة فى الحديث المدنى والتى استفاد منها البعض كالواقدى ، توحى بوجود وثائق مخطوطة فى المدينة كانت مراجع يرجع اليها الناس . ودراسة غروهمان لأوراق البردى العربية وفرت الدلائل على وجود وثائق فى العصر الأموى بدمشق والعراق معا .

أما اخباريو اليمن [1] أفقد أضاعوا فرصة هامة لتسجيل تاريخ اليمن الحقيقى ، وأصحاب الحيرة كانت لهم سجلاتهم وأسفارهم التى عرفها ، ونقل

---

(١) اعتمدنا على التحليل القيم فيما سلف بالتدوين التاريخى الأول على شاكر مصطفى ، التاريخ العربى والمؤرخون ، الجزء الأول ،دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٩ .

عنها الاخباريون العرب . يقول الطبرى " ... وكان أمر آل نصر بن ربيعة ومن كان من ولاة ملوك الفرس وعمالهم على ثغر العرب الذين هم ببادية العراق عند أهل الحيرة ، متعالما مثبتا عندهم فى كنائسهم وأسفارهم » .

وفى تواريخ بنى اسرائيل ثمة أدلة تدل على ترجمة التوارة والانجيل للعربية فى عصر الفتوح وفى العصر الأموى .

المنظور السياسى للتدوين :

وتأسيسا على ذلك فأننا نصل الى النتائج الآتية وأبرزها كان منظوره سياسيا بالدرجة الأولى :

١- تعدد العوامل والحاجات التى أوجدت علم التاريخ هو الذى يفسر تنوع وسعة الكتابات التاريخية التى ظهرت ، حيث تناولت كافة أنواع وفروع التدوين التاريخى ، فهناك كتب عامة فى « التاريخ » تقارب الخمسين ، وكتب فى السير والأخبار تزيد على التسعين نصفها فى سيرة الرسول – صلى الله عليه وسلم – وكتب عن الخلفاء و عن الأمويين والعباسيين وأحداث عصرهم تصل الى المائة ، وكتب فى الفتوح الاسلامية وفى الفرق وكتب فى البلدان والمسالك وتواريخ للمدن المختلفة النظم (البصرة والكوفة والمدينة وبغداد والحيرة واصبهان ومكة ومصر والموصل) ، وكتب فى الادارة وفى النظم المالية وفى السياسة وأدب السلطان وفى الولاة والعهود ، وكتب الطبقات وتراجم الأشخاص ، وكتب عن الروم والفرس .

٢- ولدت مع التاريخ كافة فروع التدوين وكافة مناهجه وحدد هذا مسيرة علم التاريخ وتطوره .

٣ – ونستطيع أن نعيد فكرة التواريخ العامة والتواريخ على السنين الى نمو فكرة

الأمة عند المسلمين من جهة والى النظرة العالمية الواحدة لديهم من خلال سلسلة الانبياء وتساوي البشر من جهة أخرى .

٤- لم يكن تدوين التاريخ عملا « رسميا » أبدا حيث لم يعرف هذا العمل أبدا فى التاريخ الاسلامى كله الا مرة واحدة فى أواخر القرن السابع الهجرى (عند تعيين ابن الفوطى مؤرخا للمغول الا يلخانيين فى العراق) وتشجيع الخلفاء الأمويين ثم العباسيين تدوين التاريخ فلم يكن بغرض الوصول الى اقامة تاريخ رسمي للدولة ، ولكن لمجرد اثبات المعارف الهامة وتسجيل ما كان يهم الخليفة أو الوالى معرفته ، ولم يكن التشجيع يجاوز ذلك الحد الى فرض وجهات نظرالدولة أو رأى السلطات .

٥- يعنى هذا براءة التاريخ الذى دون فى تلك الفترة من الأهواء ولكنه يعنى فقط أنه كان يستند الى رأى الكاتب نفسه والى الرواة الذين رووا له الأحداث والى هواه الخاص فى تفضيل أو الغاء أو ابراز رواية دون رواية ومن ثم فقد نشأ التاريخ فى الواقع فى معزل عن الشكل « الرسمى » وعن سلطة الدولة .

٦- اتهام بعض المورخين أنهم كانوا على علاقة طيبة مع السلطة ولقد قال مكحول العالم الفقيه المعروف فى الزهرى : " أى الرجال الزهرى لولا أنه أفسد نفسه بصحبة الملوك ".

٧- ظهرت فى الفترة المبكرة من تاريخ التدوين عمليات التفسير التاريخى ، والتحليل والتعليل السياسى ، وبدأت فلسفة التاريخ بشكل أولى وكان طبيعيا أن تكون أرادة الله « هى محور هذه الفلسفة » مثال ذلك دفاع بعض الأمويين عن حقهم ودفعهم مسئولية بعض الأعمال عن أنفسهم (يزيد ومقتل الحسين مثلا) وينسبون ذلك الى ارادة الله الغالبة لكل شئ .

٨- ونجد بالمقابل فكرة حرية الارادة ومسئولية البشر عما يقترفون ، وهو رأى الأحزاب المعارضة للأمويين واضحة في بعض ما كتب أبو مخنف عن حركة الحسين وحركة التوابين .

٩- فكرة " الأمة الاسلامية » و « الدولة » وبروز حقوق « الامامة » و« الخلافة » "وأفكار الطاعة » لولى الأمر « والجماعة الاسلامية » اثر هموم الأفكار الأولى القبلية أو المحلية التى تميز بها الاخباريون الأوائل . فكان حزب بنى أمية هو حزب الدين والنظام وحزب " أهل السنة والجماعة » وكان يزيد أمام المسلمين وعبد الملك امام الاسلام وأمين الله وجنة الدين .

١٠- ذكر حمزة الأصفهانى مغزى الفلسفة الأموية السياسية حين ذكر أن الأمويين صوروا العلويين فى صورة ... الخوارج على أئمة العدل وقرروا عندهم أنهم شقوا عصا الطاعة وأخرجوا أيديهم من الجماعة وحاولوا انتزاع الامامة من امام ولى عهد امام طامعين فى أن يغصبوه على حق موروث جعله من تقدم أولى به منهم حتى مال (أهل الشام) باللعن والافتراء .

١١- يلخص هذا صدى ما كتبه الاخباريون نوو الميول الأموية فى تفسير التاريخ والأحداث مع العلويين . وقد ورث - العباسيون ذلك من بعد فكان موقفهم ، الذى سجله الاخباريون ثم المؤرخون هو تاكيد أوسع علي الصفة الدينية ، والقرآنية لآل الرسول - صلى الله عليه وسلم - وعلى حق الامامة لبنى العباس من جانبى القرابة والجماعة .

المادة التاريخية حتي القرن الثالث الهجرى :

يحدد الذهبى فى كتابه تذكرة الحفاظ السنة التى بدأ فيها تدوين العلوم العربية فى الاسلام بأنها سنة ١٤٣ هـ . حيث دونت كتب العربية واللغة

والتاريخ وأيام الناس .

وفى ثنايا العديد من الحقائق المتصلة بنشأة العلوم الاسلامية ولعل أهمها مرورها فى القرن الثانى ، من مرحلة التسجيل « غير المرتب » الى التصنيف المبوب الذى ظهر في مختلف البقاع الاسلامية معا ، واذا نحن تجاوزنا تحديد سنة ١٤٣ كسنة انقلابية ، وضيقنا الدائرة حتى لا تشمل غير علم التاريخ. وما يتصل به يمكن أن نلاحظ فى نشأة التدوين التاريخى مروره بمراحل ثلاث

المرحلة الأولى : مرحلة التدوين الأولى : ويتسم التدوين فيها بالطابع الشخصى بالنسبة للهدف ، وبطابع العقوبة والفضول العلمى والمنفعة الدينية أو الاجتماعية بالنسبة للدوافع العامة ، وقد بدأت عملية التدوين نقلا عن الشفاه ، وغيرها من المسجلات (الوثائق والكتب) ، وبعضها يرقى الى العهد النبوى لكنه ما اتسعت الا في العصر الأموى حيث أخذت فيه عددا من الاتجاهات فبعضها للسيرة النبوية وبعض لتاريخ اليمن ، وبعض للأنساب و بعض لأخبار الفتوح .. الخ .

وقد وافق هذه المرحلة الأولى وجود جمهور واسع من رواة التاريخ والأخبار و الأنساب ، ومن هؤلاء : أبو يزيد عقيل بن أبى طالب ، الأخ الأكبر لعلى ، وكان يروى فى مسجد المدينة أيام العرب ومعاركها ، ومكى بن سوادة، وأبو بكر ابن الحكم ، والأقرع بن حابس التميمى " عالم العرب فى زمانه " وحويطب بن عبد العزى أحد أربعة من قريش فى العلم بالشعر والأخبار والأنساب والنخار بن أوس العذرى أعظم علماء العرب فى الأنساب .

وهذا الجمهور الواسع من رواة التاريخ كان يستأثر باهتمامات الناس التاريخية ، حيث كانت تجرى الخطوات الأولى للانتقال بالتاريخ من حالة المعرفة الشفهية

الى المعرفة الكتابية أى من التاريخ المروى الي التاريخ المكتوب .

وامتدت المرحلة الأولى هذه حتى مطالع القرن الثانى : وكان اهتمام التدوين فيها متوجها الى مواضيع محددة من السيرة النبوية ، سميت « بالمغازى » لأنها تهتم بهذه الناحية من حياة الرسول – صلى الله عليه وسلم – .

وخلال هذه المرحلة ظهر الاهتمام بالمعارف التاريخية بوضوح لدى الخلفاء الأمويين منذ عهد معاوية و طلبوا تسجيل ذلك لهم من أفواه الناس ، و وضع هشام بن عبد الملك من يكتب أخبار الزهرى عنه ويكتب – أيضا – تاريخ ملوك الفرس ، غير أن هذه الكتابات تظل تسجيلا لأحداث تاريخية متفرقة غير متصل بعضها ببعض . مما يعنى أن الرغبة فى تدوين الأخبار (والأحاديث والأدب أيضا) على اختلافها قد أوضحت شائعة معروفة . وان لم تصبح تيارا فكريا ثقافيا واضح التدوين .

والنموذج الواضح لهذه الفترة يتمثل فى عبد الله بن عباس (المتوفى سنة ٧٨) فقد ذكر ابن سعد فى الطبقات خبرا يقول ... رأيت عبد الله بن عباس معه ألواح يكتب عليها عن ابن رافع شيئا من فعل رسول الله – صلى الله عليه وسلم .

وذكر الجاحظ عن أبى عمرو بن العلاء أن « كتبه التى كتبت عن العرب الأصحاء قد ملأت بيتا له الى قريب من السقف .

المرحلة الثانية : وقد امتدت خلال القرن الثانى واهتم الاخباريون خلالها بجميع أخبار الأحداث والمواضيع المتنوعة . ومن جميع الأفواه والرواة . ومع أن الاهتمام بالسيرة النبوية لم ينقطع فى هذه المرحلة ان لم يتسع ويعطى السيرة النبوية شكلها النهائى المنتظم على يد ابن اسحق (المتوفى سنة ١٥١) صاحب أقدم

وأكمل سيرة ، الا أن العناية بالأخبار التاريخية الأخرى صارت أكثر وضوحا. و وجد الاخباريون ميادين أخري ، ومما يهم الناس اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا ، و تم تأليف مئات من الكتب أشبه بالرسائل الصغيرة ، وتشكل فى مجموعها المادة التاريخية الأساسية لكتابة التاريخ .

ومن هؤلاء الرجال الذين كان لجهودهم وريادتهم الدور الاكبر :

١- **أبو مخنف** (المتوفى سنة ١٥٧) الذى كتب ٣٢ كتابا تحمل عناوين الردة ، الفتوح ، الشورى ، صفين ، الخوارج ، ثم هشام ابن محمد بن السائب الكلبى النسابة المتوفى سنة ٢٠٤ فكتب أكثر من ١٥٠ كتابا فى مختلف المواضيع فى المآثر والكنى ، والمثالب وأخبار الأوائل و الخلفاء و صفاتهم وأولادهم ونسائهم .

٢- **والهيثم بن عدى** (المتوفى سنة ٢٠٨) ، والواقدى (المتوفى سنة ٢٠٧) و الذى ألف ٢٨ كتابا و منها أخبار مكة ، أزواج النبى ، السقيفة ، سيرة أبى بكر ، الردة ، يوم الجمل ، صفين ، مقتل الحسين ، وضع الدواوين .

٣- **وابو عبيدة معمر** (المتوفى سنة ٢١١) ، ونصر بن مزاحم الذى توفى سنة ٢١٣ عن ٥٠ كتابا و قدبلغت المرحلة أوجها ونهايتها بأعمال المدائنى (المتوفى سنة ٢٢٥) حيث ترك مجموعة ضخمة من الكتب تكشف مجموعة عناوينها أنها تغطى أخبار الجاهلية وأحداث الاسلام وأخبار الخلفاء والتاريخ الأدبى والحضارى للدولة العربية الاسلامية ، وعددها ٢٤٠ كتابا منفصلا .

٤- **ثم جاء النسابون** ، فكتبوا أنساب كافة القبائل ، وفى محاولة لاستقصائها وتدوينها ومنهم : محمد بن سائب الكلبى (المتوفى سنة ١٤٦) و الذى جمع أنساب كل قبيلة على حدة . وابو اليقظان النسابة (المتوفى سنة ١٩٠) و عبد الرحمن ابن عبده و هشام بن محمد كلبى الذى كتب « النسب الكبير » و « جمهرة النسب » ...

المرحلة الثالثة : مرحلة تدوين التاريخ على الأساس الزمنى المتسلسل

وجمع المواضيع المتعاقبة فى ثنايا فكرتين أساسيتين هما :

- وحدة التاريخ الاسلامى وتجارب الأمة الاسلامية .

- ووحدة تاريخ البشرية من خلال سلسلة الأنبياء .

وامتدت هذه المرحلة حتى نهاية القرن الثالث وتوطد بها علم التاريخ الاسلامى ، وتركز ذلك لدى ابن اسحق صاحب السيرة فى أواسط القرن الثانى وينسب اليه كتاب شائع فى (تاريخ الخلفاء) . وعوانة بن الحكم الذى كتب مؤلفا في « التاريخ » جمع فيه الحديث عن الردة والفتوح وعهد الراشدين ، و أبو اسحق ابراهيم بن محمد المتوفى سنة ١٨٨ فى «كتاب السير فى الأخبار والحوادث» .

ومن الثابت أن ظهور الورق وانتشاره ، بعد أواسط القرن الثانى الهجرى ، قد أعان على التوسع فى التدوين التاريخى وجمع المؤلفات التاريخية الصغيرة فى مختلف المواضيع ، فى نسق زمنى متصل ، بالاضافة الى أن العمق الفكرى في الحياة الثقافية ، مع حركة الترجمة فى العصر العباسى الأول ، حيث التوازن فى النظرة التاريخية لمختلف الحضارات وتسلسلها .

وشهدت هذه المرحلة فى القرنين الثانى والثالث بروز العديد من المؤرخين مثل خليفة بن خياط (المتوفى سنة ٢٤٠) وابن قتيبة الدينورى (سنة ٢٧٠) ثم البلاذرى (سنة ٢٧٩) وابن طيفور (سنة ٢٨٠) وأبى حنيفة الدنيورى (سنة ٢٧٩) واليعقوبى (سنة ٢٨٤) والطبرى (سنة ٣١٠) ،من ثم استقر علم التاريخ والتدوين التاريخى المنظم .

تدوين السيرة النبوية :

اهتم المسلمون بالسيرة وتفسير القصص القرآنى فكتبت السيرة منذ النصف الثانى من القرن الأول ، و ترتبت على الردة و الفتوح أمور هامة فى التشريع والحياة الاسلامية ودونت أخبار الردة والفتوح فى الوقت الذى ظهرت فيه الخلافات الشديدة حول الامامة ورئاسة الدولة الاسلامية ، فتتبع الناس وقائع الخلاف وما نجم من وقائع وجدل سياسى ودونوها ومنذ أوائل القرن الثانى الهجرى تطوع الفرس لتقديم خبراتهم بهذا الشأن ، و فى مطالع القرن الثالث بحث المسلمون أنفسهم عن أخبار الرومان والروم ونقلوا ذلك الى التواريخ العربية .

وتجدر الاشارة أن تاريخ الأمور السابقة للاسلام كان يشكل مشكلة هامة في التدوين التاريخى ، فليس فى اللغة العربية من تراث مكتوب ولا كان فى تواريخ الأمم الأخرى ، وهى مكتوبة بلغات غربية (فارسية ويونانية وسريانية) من القيمة الفكرية والسياسية بالنسبة للعالم الاسلامى .

وهو يحتاج الى وقفة للتفسير والتعليل : فأما اخبار الجاهلية فقد أخذت مباشرة عن العارفين بأمورها وخاصة ما تعلق بتفسير اشارت القرآن الكريم والحديث وقد وجد من هؤلاء الرواة جماعة كثيرة منذ العهد الراشد وعهد الأمويين الأوائل ومنهم زهير بن ميمون الهمدانى القرقبى « المتوفى سنة ١٥٥ » وكان عالما بالأنساب والأخبار وايام الناس وأبو محمد جناد بن واصل الكوفى وكان أعلم الناس بأشعار العرب وأيامها .

وقد تعاون مع التاريخ على جمع أخبار الجاهلية ، علوم القرآن والحديث والشعر واللغة والأدب .

وأما تاريخ الأنبياء فقد ورد بعضه في القرآن الكريم وأما تفصيله والتوسع فيه تأتى فى أخبار الأديان الأخرى وخاصة اليهودية والمسيحية فكان لابد في ذلك من

الأعتماد على أهل تلك الأديان وخاصة ممن أسلم منهم ، و أخذ الاخباريون والمؤرخون المسلمون من تلك الأخبار ما توافق منها مع المعتقد الاسلامى ، ومن أقدم من نقلت عنهم تلك المعلومات عبد الله بن سلام (المتوفى سنة ٤٠/٦٦٠) ومن الملاحظ أن أخبار الأنبياء والأديان السماوية السابقة للاسلام كانت معروفة فى الجزيرة العربية قبل الاسلام .

وكان الرسول – صلى الله عليه وسلم – يعرف الكثير من الأخبار الدينية التاريخية وعن عبد الله بن عمر – رضى الله عنهما – قال : كان نبى الله – صلى الله عليه وسلم – يحدثنا عن بنى اسرائيل حتى نصبح ، ما يقوم الا الى عظم صلاة .

ومن ناحية المعارف التاريخية الجاهلية يذكرون أن – قريشا أرادت التثبت من صدق رسالة الرسول فأرسلت الى أحبار يهود بالمدينة يسألونهم عن محمد – صلى الله عليه وسلم – ان وردت صفاته فى كتبهم رجلان ثم عادا بأسئلة سألاها للرسول واثنان من الأسئلة تاريخيان . سألوه عن أهل الكهف وعن رجل طواف الدنيا وعن الروح . وقد أجاب عن ذلك . جاء فى القرآن الكريم عن أهل الكهف .. نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم .. » وعن الطواف "ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا» ، أما الروح فجاء : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى » وامتحان النبوة بمعلومات من التاريخ يعنى قيمة هذه المعلومات فكريا ودينيا فى ذلك الوقت و هذه المعارف ذاعت فى العهد الراشد ، ثم الأموى ، ولما كانت معلومات أهل الكتاب من اليهود والنصارى واسعة ،فقد ظهرت جماعة منهم تتصدى – بعد اسلامها ، لاذاعة تلك المعارف ويسميهم ابن اسحاق أهل العلم الأول . ويبدو مما وجد من أوراق البردى الاسلامية أن ترجمة هذه المعارف والنصوص الى العربية قد تمت فى أواخر القرن الأول الهجرى .

وقد حاول روزنتال أن يبين أن فكرة التاريخ فى الكتاب المقدس قد أثرت فى النبى و أن العلماء المسلمين قد استخدموا هذه النظرة التاريخية فى انتاج مؤلفات تاريخية شاملة وأنهم أغنوا تلك المؤلفات بمواد تاريخية مأخوذة عن الكتاب المقدس والآثار التوراتية – الانجيلية وان تقديم تلك المواد يجمع بين النصوص التاريخية التوراتية والاسلامية .

وقد استنتج روزنتال أن ثمة مكانا خاصا تحتله تلك المواد التوراتية فى علم التاريخ الاسلامى .

كما يثير روزنتال بعض التساؤلات حول أى نوع من النصوص التوراتية – الانجيلية نقل الى العربية هل هو لبعض الفرق المسيحية أو اليهودية المعنية أم هو أشكال محورة عن النصوص الأصلية لذلك القصص القديم . وأن معظم المواد التاريخية – كما اتضح لدى الطبرى وحمزة الأصفهانى والبيرونى واليعقوبى انما ترجع الى كتابى المدراش والهاغاداه لدى اليهود والنصارى ولكنها خضعت للكثير من التعديل ، ومثل قصص الأنبياء .

وما أراد روزنتال أن يعتبره تأثرا ونقلا انما يرجع فى الواقع الى حقيقة مسبقة وهى أن القرآن جاء « مصدقا لما بين يديه من الكتاب » و أن الاسلام لم ينكر وجود العقائد الدينية السابقة ولكنه رفض استمرار الايمان بها بعد ظهوره و وحدة الرسالة منذ ابراهيم أبى الأنبياء حتى محمد آخر النبيين .

وثمة ملاحظة أخيرة تتعلق بدخول تاريخ الأنبياء والأديان والاسرائيليات الي التاريخ الاسلامى هى أن الاخباريين أخذوها في القرن الأول والثانى عن أهل الكتاب ترجمة أو بالرواية و من فم أهم الرواة لهذه الأمور ، فقد دخلت الكثير من الاسرائيليات وقضايا اليهود الى الثقافة الاسلامية عن طريقهما .

وأحمد بن عبد الله بن سلام مولى الرشيد ترجم عن العبرانية واليونانية والسريانية أخبار الصحف والتوراة والانجيل والأنبياء . على أن معظم ما نقل انما كان أولا بالرواية المنقولة عن أهل الكتاب ، ثم ظهر مؤلفون كتبوا بالعربية بعض التاريخ اليهودى والمسيحى ، و قد أشار ابن النديم الى كتاب ديوان الأيام وفيه سير الملوك من اليهود وأخبارهم . كما أشار حمزة الأصفهانى الى كتابى تاريخ لمؤلفين يهوديين مجهولين . هذا بالاضافة الى أن عددا من المؤرخين لجأ الى التوراة نفسها يأخذ عنها ، وكتب المسيحيون بدورهم بعض التواريخ مثل تاريخ الروم وتاريخ الكنيسة .

وكانت قريش تتابع باهتمام حروب الفرس والروم ولمن تكون الغلبة فيها .

غير أن العرب فى العهد الراشد لم يهتموا بمعرفة أو بتدوين ذلك التاريخ الذى ألفوا وجوده واستمراره بفتح بلاد فارس.

أما تاريخ الروم فقد كان آخر المعارف التاريخية دخولا الى التاريخ الاسلامى وقد طلبه المؤرخون فى اطار الترجمة ونماذج الثقافات خلال القرن الثالث الهجرى .